

أضواء البيان

@ 470 @ قوله تعالى : { يَوْمَ نَدْعُوهُ كُلِّ الْأُنَاسِ بِإِمامِهِمْ } في سورة الإسراء إلى قوله تعالى { فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِرِيْمَيْنِهِ } ، وبين أحوال الفريقين أهل اليمين وأهل الشمال ، وأحال على أول السورة . . . وقوله : { وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فَرِيهِ } ، في سورة الكهف وهنا ذكر سبحانه وتعالى حالة من حالات كلا الفريقين . . . فالأولى : يحاسب حساباً يسيراً وهو العرض فقط دون مناقشة ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها (من نوقش الحساب عذب) . . . والثانية : يدعو على نفسه بالثبور وهو الهلاك ، ومنه : المواطأة على الشيء سميت مثابرة ، لأنه كأنه يريد أن يهلك نفسه في طلبه . . . وهنا مقابلة عجيبة بالغة الأهمية ، وذلك بين سرورين أحدهما آجل والآخر عاجل . . . فالأول في حق من أوتي كتابه بيمينه ، أنه ينقلب إلى أهله مسروراً ينادي فرحاً { هَآؤُمْ أَقْرَأُكُمْ كِتَابِيَهْ } ، وأهله آنذاك في الجنة من الحور والولدان ، ومن أقاربه الذين دخلوا الجنة ، كما في قوله تعالى : { جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ } . . . وقوله : { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } ، فهم وإن كانوا ملحقين بهم إلا أنهم من أهلهم ، وهذا من تمام النعمة أن يعلم بها من يعرفه من أهله ، وهذا مما يزيد سرور العبد ، وهو السرور الدائم . . . والآخر سرور عاجل ، وهو لمن أعطوا كتبهم بشمالهم ، لأنهم كانوا في أملمهم مسرورين في الدنيا ، وشتان بين سرور وسرور . . . وقد بين هنا نتيجة سرور أولئك في الدنيا ، بأنهم يصلون سعيراً ، ولم يبين سبب سرور الآخرين ، ولكن بينه في موضع آخر وهو خوفهم من الله في قوله تعالى : { قَالُوا إِنْ زَلَّاهُمْ كُنَّا قَبِيلُ فِي أَهْلَانَا مُشْفِقِينَ * فَمَنْ لَّاهُ اللَّهُ عَالِيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّعِيرِ * إِنْ زَلَّاهُمْ كُنَّا مِنْ قَبِيلُ نَدْعُوهُ إِنْ زَلَّاهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ } . . . وهنا يقال : إن الله سبحانه لم يجمع على عبده خوفان ، ولم يعطه الأمان معاً ،